خطبة صلاة الجمعة 30/ 9/ 2023 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(هدي رسول الله ﷺ في التعامل مع المخطئ)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وَقالَ تعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:52].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسولُ الله ﷺ إذا خطب يقول: **«أما بعدُ، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرُ الهدْي هدْيُ محمد، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثاتُها، وكلُّ بدْعةٍ ضلالة»**.

قال النووي في شرح مسلم: (قوله "خير الهدي هدي محمد" جاءت الرواية بوجهين: الأول: بفتح الهاء وإسكان الدال: ومعناه الطريقة، أي أحسن الطرق طريق محمد، والثاني: بضم الهاء وفتح الدال فيهما، ومعناه الدلالة والإرشاد).

فأحسن الهدي هدي محمد، أَي أَحسَنُ الطريقِ والهِداية والدلالة والإرشاد هدي رسول الله محمد ﷺ.

أيها الإخوة:

بمناسبة دخول شهرِ ربيع الأول شهرِ ولادة سيدنا محمد ﷺ سأتابع سلسلةً بدأتها قبل سنتين في شهر المولد عنوانُها: (هدي رسول الله ﷺ)، تحدثت عن هديه ﷺ في العبادات الشعائرية، وهديه ﷺ في المعاملات المالية، وفي العلاقات الأسرية، وفي الشدائد والمحن، وفي مخالطة الناس، وهديه ﷺ في التعليم، وفي القضاء بين الناس وفي الدعوة إلى الله.

نتابع هذه السلسلة لنكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ ولنهتدي بهديه ونتأسى بسنته فننالَ الحظوة بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه.

واعلموا أنّ الكمال البشري معقودٌ في رسول الله ﷺ، فمن اهتدى بهديه واستن بسنته وحذى حذوه ﷺ سار في درب الكمال، وعكسه بعكسه.

عنوان خطبة اليوم:

هدي رسول الله ﷺ في التعامل مع المخطئ

أيها الإخوة:

الخطأ وصف لازم لابن آدم، ما لم يكن نبياً معصوماً، والخاطئ هو من تعمّد ما لا ينبغي، بينما المخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره، يتمنى المخطئ أن يجد معيناً يعينه على الخروج من الخطأ، ويأخذَ بيده إلى الصواب، على أن يحسن هذا المعين الدخول والخروج والقول والعمل، ومن أجل هذا ذهبت لسنة النبي ﷺ لأبحث عن هديه ﷺ في التعامل مع المخطئ، وإليكم بعضَ المعالم في ذلك لنستن بسنته ونتأسى بهديه ﷺ:

أولاً: كان ﷺ يبيّن للمخطئ حقيقةَ الخطأ وعواقبَه، ويتجنَّب لومَه:

ومن ذلك ما أخرجه الطبراني في مسند الشاميين عن أَبِي أُمَامَةَ يَقُولُ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غُلَامٌ شَابٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي الزِّنَا، فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ، وَقَالُوا: مَهْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ذَرُوهُ، ادْنُ**»، فَدَنَا حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، فَاكْرَهْ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَحِبَّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُطَهِّرَ قَلْبِي، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**»، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

فظاهر هنا أنّ النبي ﷺ بيّن للمخطئ حقيقةَ الخطأ وعواقبه، ولم يلمه، فلعله لا يعرف بأن الأمر خطأ أصلاً.

ومن لطيف ما ورد في هذا أيضاً ما ورد في صحيح مسلم عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**».

فمن هدي النبي ﷺ في التعامل مع المخطئ حتى يرجع عن الخطأ بيان حقيقة الخطأ له، وتجنب لومه.

ثانياً: كان ﷺ يدع المخطئ يكتشف الخطأ بنفسه ثم يجعله يكتشف الحل:

وهذه طريقة ذكية في التربية والسلوك.

(كان حصين والد عمران يعبد سبعة أصنام، ويرى أنها آلهة وكان معظَّماً في قريش، فجاءته وقالت: كَلِّمْ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ آلِهَتَنَا وَيَسِبُّهُمْ، وجَاءُوا مَعَهُ حَتَّى جَلَسُوا قَرِيبًا مِنْ بَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ الْحُصَيْنُ، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ**»، وَعِمْرَانُ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِدُونَ، فَقَالَ حُصَيْنٌ: مَا هَذَا الَّذِي يَبْلُغُنَا عَنْكَ، إِنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَنَا وَتَذْكُرُهُمْ. قال رسول الله ﷺ: «**يَا حُصَيْنُ، كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ الْيَوْمَ؟**». قَالَ: سَبْعَةً فِي الْأَرْضِ، وَإِلَهًا فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «**فَإِذَا أَصَابَكَ الضُّرُّ مَنْ تَدْعُو؟**» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «**فَإِذَا هَلَكَ الْمَالُ مَنْ تَدْعُو؟**» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «**فَيَسْتَجِيبُ لَكَ وَحْدَهُ، وَتُشْرِكُهُمْ مَعَهُ؟ يا حصين، أسلم تسلم**» فقال: إنَّ لي قوماً وعشيرة، فماذا أقول؟ قال: «**قل: اللهم أستهديك لأرشد أمري، وزدني علما ينفعني**» فقالها حصين ولم يقم حتى أسلم، فقام إليه ولده عمران فقبَّل رأسه ويديه ورجليه.

فلما رأى النبي ﷺ ذلك بكى، وقال: بكيت من صنيع عمران، دخل حصين أبوه فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته، فلما أسلم قضى حقه فدخلني من ذلك الرقة). [انظر: كتاب (سيدنا محمد رسول الله) وعزاه لابن خزيمة].

– اعتادت أمٌّ أن توقظَ أولادها وتهيأهم للذهاب إلى المدرسة، وهي تتعب كثيراً في إيقاظهم، ولما أعياها الأمر ورأتهم غير مبالين، قرَّرت أن تدعهم يكتشفون عاقبة خطئهم ليتركوه، فاتفقت مع والدهم أنها ستدعوهم للاستيقاظ الباكر من دون مساعدة الوالدين ليحملوا مسؤولية أنفسهم في ذلك.

في صبيحة اليوم الثاني تركتهم يستيقظون وحدهم فقاموا متأخرين، ولم يستطيعوا اللحاق بسيارة المدرسة وطلبوا من والدهم إيصالهم، فاعتذر لعدم فراغه، ففات عليهم الدوام، وتألموا لذلك مما دعاهم للاستجابة لأمهم في الأيام القادمات عندما توقظهم.

دع المخطئ يكتشف الخطأ بنفسه ثم اجعله يكتشف الحل، فهذا هدي نبوي كريم في التعامل مع المخطئ.

ثالثاً: كان ﷺ يترفَّق بالمخطئ ولا يشتدُّ عليه:

فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه ولا نُزِع من شيء إلا شانه.

فمن رفقه ﷺ بالمخطئ سترُه والتعريض بنصحه بقوله ﷺ: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، ولم يكن ﷺ يذكر اسم المخطئ أمام الناس لكيلا يحرجه.

ومن رفقه ﷺ بالمخطئ أنه كان يقبل عذره إن جاء معتذراً فقد قبل ﷺ اعتذار كعب بن زهير وغيره.

ومن رفقه ﷺ بالمخطئ أنه كان لا ينسى سابقته في الخير، فعندما أرسل حاطب بن أبي بلتعة رسالة لقريش يكشف فيها تحرك رسول الله ﷺ لفتح مكة، وعلم بذلك رسول الله ﷺ قال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضربْ عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم.

ومن رفقه ﷺ بالمخطئ تلطفه بالكلام معه وعدم القسوة عليه، فقد بلغكم حديث رسول الله ﷺ مع الأنصار إذ وجدوا في أنفسهم من قسمة النبي ﷺ لغنائم حنين وفشا الحديث فيهم، فما زال ﷺ يتلطفهم بالقول ويتألفهم حتى اعتذر القوم وبكوا حتى أخضلوا لحاهم.

والحاصل أن النبي ﷺ كان يترفق بالمخطئ ولا يشتد عليه.

رابعاً: كان ﷺ يبقي بابَ التوبة مفتوحاً للمخطئ، ولا يقنطه من رحمة الله:

أخرج الإمام مسلم وأبو داود عن أبي أمامة الباهلي «أن رجلاً أتى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، إني أصبتُ حَدّاً، فأقمه عليَّ، قال: «**توضأتَ حين أقبلتَ؟**» قال: نعم، قال: «**هل صلَّيتَ معنا حين صلَّيْنا؟**» قال: نعم، قال: «**اذهبْ، فإن الله قد غفَرَ لك**».

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني عَالجْتُ امرأة في أَقْصَى المدينة، وإني أَصَبْتُ مِنْها ما دونَ أنْ أَمَسَّها، فأنا هذا، فاقْضِ فيَّ

ما شِئتَ، فقال له عمر: لقد سَتَرَكَ الله، لَوْ سَتَرْتَ عَلِى نَفْسِكَ؟ قال: ولم يَرُدَّ النبيُّ ﷺ، فقام الرجلُ فانطلقَ، فأتْبَعَهُ النبيُّ رُجلاً، فدعاهُ وتلا عليه هذه الآية: ﴿وأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلكَ ذِكْرى لِلذاكِرِين﴾ فقال رجلٌ من القوم: يا نبيَّ الله، هذا له خاصَّة؟ قال: «بَلْ للناسِ كافَّة».

فمن هدي النبي ﷺ إبقاء بابِ التوبة مفتوحاً للمخطئ، وألا تقنطه من رحمة الله، وهو ذاته هدي القرآن الكريم فكلما تكلم القرآن عن المعاصي وأضرارها، وعن العصاة وشنيع فعالهم، ختم الآيات بفتح باب للرجوع عن الخطأ والاستقالة من الذنب مهما كان الخطأ كبيراً والذنب خطيراً.

خذ مثلاً اتهام العفيفات بالفاحشة كما في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 4، 5].

خذ مثلاً من فعل من الكبائر أعظمها كما في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: 68 - 70].

فلا تغلق باب الرجوع عن الخطأ أمام المخطئ، بل كن له عوناً على الخروج من مأزقه، وأكِّد له أنه قادر على ذلك. متأسيا برسول الله ﷺ

وبعد أيها الإخوة:

هذه أربعة في هدي النبي ﷺ في التعامل مع المخطئ ليعود عن خطئه:

1- كان ﷺ يبيّن للمخطئ حقيقةَ الخطأ وعواقبه، ويتجنَّب لومَه.

2- كان ﷺ يدع المخطئ يكتشف الخطأ بنفسه ثم يجعله يكتشف الحل.

3- كان ﷺ يترفَّق بالمخطئ ولا يشتدُّ عليه.

4- كان ﷺ يبقي بابَ التوبة مفتوحاً للمخطئ، ولا يقنطه من رحمة الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين